شارع (السكلات) يغفو في ساحة الطيران

" اسطوات " يؤجرون الفأس والشاقول وأصحاب المحال بانتظار اطلاق سراح حملة الإعمار

بغداد / المدى

قبل بزوغ الشمس بدأ العمال بالتوافد على ساحة الطيران، اخذ باسم جبر ملابسه القديمة وهو يحاول ان يحصل على مكان افضل بين زملائه لعله يحصل على زبون في ذلك اليوم يكلفه بنقل قطع الحديد الموجودة امام ابواب المحال العديدة في شارة (السكلات).
لم يكن هنالك احد باستثناء اصحاب المحال الذين جلسوا على كراسيهم قبالة محالهم بين اكوام الحديد المسنودة الى الجدران وهم ينتظرون مثل باسم الى من يأتي لتأجير معداتهم من مقاولي البناء الذين اعتادوا التعامل معهم.
بقية العمال كانوا يبحثون بنظراتهم ويراقبون الوافدين الداخلين الى شارع (السكلات) وكل منهم يبحث عن رزقه في ذلك اليوم.
تلك الساحة كانت ولم تزل مكاناً لتجمع عمال البناء، العديد من المحال التجارية التي تتعاطى بيع ادوات البناء شكلت الخلفية لتجمعاتهم. ومحال اخرى اتخذت من الشوارع المتفرعة من ساحة الطيران مكاناً لها لتعاطي بيع وتأجير المعدات والآلات الداخلة في اعمال البناء فأنشأت تجمعات مختصة ومنها تجمع اصحاب (السكلات) الذي اتخذ من احد الشوارع الفرعية مكاناً له ووسمه بسمته من خلال قطع الحديد المعروض على ارصفته وصار يطلق عليه شارع (السكلات).

البدايات

جبار نجم صاحب محل لتأجير (السكلات) يحدثنا عن بدايات هذا الشارع فيقول:
منذ نهاية الستينيات والمعروف عن ساحة الطيران بانها (مسطر) لتجمع عمال البناء وباعة المواد الانشائية ولكن ابتداءً من العام ١٩٧٥ بدأت ملامح هذا الشارع الفرعي تظهر للوجود فكانت هناك بضعة محال تتعاطى تأجير (السكلات) للمقاولين لتشييد البنايات. بعد عام ١٩٩١ وللحالة الاقتصادية المتردية صارت المحال تقوم بتأجير الفأس والشاقول والخيط للبناء فلقد كان البناء (الأسطة) لا يكلف نفسه شراء فأس يعمل بها فيعمد الى صاحب محل يؤجرها منه نتيجة توقف اعمال البناء. وهكذا كانت بدايات الشارع. وبعد ان قامت الدولة ببيع معدات شركاتها من الخردة والحديد اشترينا منها (السكلات) وانشأنا هذا الشارع المختص بالتعامل بها. ومنذ عام ١٩٩٥ فتح العديد من المواطنين محالاً لتأجير (السكلات) الى ان طغت هذه المهنة على بقية الشارع.

(السكلة) اكثر ضماناً للعامل

يقول صاحب محل:
من الحديد والخردة انشأنا (السكلات) التي توفر ضماناً للعاملين في مجال البناء. قبلها كان العامل يعتمد على عمل ثقوب في الحائط ليقف على قطعة خشب طويلة نطلق عليها اسم (الدراب) وهي طريقة غير مضمونة في سلامة العامل. اما الآن فان (السكلة) اكثر ضماناً. اضافة الى ان البناء الحديث لم يعد يلائمه طريقة (الدراب) لانه يعتمد في بناء واجهته بالحجر الذي لا يمكن معه عمل ثقوب. الآن صار بامكاننا توفير (سكلات) عملاقة لابنية ترتفع لعدة طوابق. منذ استخدامها وتعرض عمال البناء لحوادث السقوط قلت الى درجة كبيرة.

ثلاثة اشهر بلا عمل

ابو محمد صاحب محل آخر قال لنا:
حركة العمل ليست كما كانت بالنسبة لتأجير (السكلات). منذ ثلاثة اشهر لم يدخل جيبي فلس واحد من عملي والسبب يعود في ذلك الى أن حركة البناء قد توقفت. في الفترة التي اعقبت سقوط النظام انتعش السوق وحركة العمل كانت نشطة العديد من المقاولين اتجهوا الينا لتأجير معداتنا اما الآن فنحن بلا عمل تماماً.

فأس الخلفة

ابو ليث هو الآخر من اصحاب المحال يقول عن هذه المهنة:
كان عملي يعتمد على الدوائر الحكومية التي تقوم بتأجير معداتي اما الآن فالعمل عندي شبه متوقف منذ شهر او ما يزيد. كل املنا ان يتحسن الوضع الامني وتتحرك (فأس الخلفة) من جديد ليتحرك معها العامل وصاحب المحل.

العمل والحكومة

في شارع اصحاب تأجير (السكلات) العديد من العاملين من الذين يبحثون عن فرص عمل، خميس كريم (٣١) سنة التقينا به جالساً في محل احدهم ليقول: اتقاضى اجرة يومية قدرها (١٥) الف دينار لكنني في هذه الايام لا اجد من يستخدمني في عمل من الاعمال. متزوج ولدي طفل واحد. اصحاب (السكلات) لا احد يتوجه اليهم في هذه الايام والامل في قيام حركة عمل من جديد متوقف على استقرار الوضع الامني.

عامل من الناصرية

باسم جابر (٢٧) سنة متزوج ولديه طفلان يقول: اسكن مدينة الناصرية. منذ فترة طويلة لم احصل على فرصة عمل. في البداية كانت حركة العمل في تصاعد كان العامل قبل سقوط النظام يتقاضى اجراً قدره ثلاثة آلاف دينار والبناء خمسة عشر الف دينار وبعد انهيار النظام صارت اجرة العامل خمسة عشر الفاً والبناء خمسين الفاً لكن في هذه الايام لا طلب على اليد العاملة الآن انتظر في هذا الشارع من يدعوني الى نقل (سكلة) او ماكنة مقابل خمسمائة دينار. للحصول على اجرة الفندق والطعام.

تمنيات

مثلما ذكرت لك بدأت الحالة بتأجير الفأس للبناء كون العمل قد توقف. بعد ٢٠٠٣/٤/٩ تصاعدت وتيرة العمل وصار الاقبال على تأجير (السكلات) يتزايد خاصة من المقاولين المتعاقدين مع دوائر الدولة لاعادة الاعمار كنا نقوم بتأجير المربع الواحد من الحديد بمبلغ خمسمائة دينار وينقص المبلغ كلما ازداد تأجير عدد القطع الحديدية لانشاء (السكلة). تؤجر في بعض الاحيان عشرون قطعة او ثلاثين قطعة لمدة محددة من الزمن. الآن الشارع يعج بمؤجري (السكلات) ويكاد يكون حكراً عليهم. ما نتمناه ان تلتفت دائرة البلدية لهذا الشارع بالعناية. نود ان يكون مميزا وعلامة بارزة من علائم ساحة الطيران.

(المدى) في استطلاع عن العنف ووسائل مكافحته

غياب الوعي وقصور الإعلام وأعداء العملية السياسية وراء مشهد العنف العراقي

بغداد / علي الاشتر

الامن الاجتماعي لا يتحقق الا بخطاب موحد يروج لمبادئ المحبة والسلام بين اطياف الشعب العراقي.

شكل السؤالان (ما علاقة الثقافة بالامن الاجتماعي؟ وهل تعتقدون غياب الثقافة هو احد الاسباب الفاعلة في انتشار العنف في المجتمع العراقي؟) محور استطلاع (المدى) المفتوح عن علاقة الثقافة بالامن الاجتماعي من ناحية، وعلاقتها بالعنف من الناحية الاخرى. وقد اجمعت المجموعة الاولى من آراء المثقفين على وجود علاقة وثيقة بين شيوع وانتشار العنف في المجتمع العراقي، وغياب الثقافة، او تخلفها بين شرائح المجتمع، كما اشارت لعلاقة التأثير المتبادل بين الثقافة والامن الاجتماعي.

الامن الاجتماعي

كان الشاعر جبار سهم السوداني، اول من استطلعنا رأيهم، وقد لخص رأيه بالقول: وهل هناك مجتمع تنمو فيه الثقافة، ومجمل الابداع من دونما امن اجتماعي؟! الرعب والاغتيال وخنق الحريات، تغيب الثقافة من خلال عمليات الابادة للمبدعين –كما كان يفعل النظام الهالك –واليوم يعيش المبدعون محنة اكثر رعباً –على الرغم من هامش الحرية المتحقق –لكنه قد خسر ذلك الحلم بعد فترة وجيزة من التغيير.. فعاد المبدعون الى ممارسة الهروب الى الموت المادي المفروض عليهم قسراً، او الهروب والانزواء الى ذواتهم المهمشة اصلاً.
اما اسباب العنف فعديدة: فبعض (العنيفين) قد تتلمذوا وتخرجوا على هذه الثقافة القميئة.. بعض العنف يتأتي من انعدام او وهن المؤسسات الامنية او ضعف تطبيق القانون.. وحتى عدم استخدام الحزم اما فلول (العنيفين) واملهم الكبير في الخروج ثانية من المعتقل او السجن (المرفه).
وبعضها انعدام فرص العمل والاعمار وحجم البطالة وغليان الاسعار مما يجنح بعدد من ضعاف النفوس الى ممارسة لعبة ارعاب المواطنين بالموت او الابتزاز المالي (ومن آمن العقاب اساء الادب)؛ بعضها ما لجأ اليه (القائد الضرورة) من مكرمة فتح ابواب السجون على مصاريعها لإخراج القتلة وعتاة المجرمين –لا السياسيين – واستيراد اعداد هائلة من الذئاب البشرية –كاحتياطي لنظامه في (ساعة الضيق) ... –
ربما هناك اسباب كثيرة مبثوثة في كتب المناهج المدرسية والثقافية تمجد تلك السياسة العنيفة وانفتاح العوائل على فضائيات كثيرة تؤدلج العنف بأسلوب مشوق.. وكثير من وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية تساهم في شيوع وممارسة هذه الظاهرة الخطرة.. التي تتطلب غرفة عمليات ممنهجة بآلية علمية مع مجاميع من ذوي الشأن الذين تعنيهم معالجة هذه الظاهرة وايقاف نزيف الدم والحفاظ على ارواح الناس واشاعة ثقافة الحوار الديمقراطية والاعمار...

اطفاء نار الفتنة

ودعا الشاعر عبد الحميد الجباري الى ضرورة ان ترتفع الاصوات الخيرة من اجل اطفاء نار الفتن الطائفية، مؤكداً اهمية الثقافة، وقال: نعم ان العنف الذي يسود العراق حالياً ويذهب ضحيته آلاف العراقيين رجالاً ونساءً وشيوخاً واطفالاً انما هو بسبب انعدام الثقافة بكل جوانبها. لان الانسان المثقف ثقافة حقيقية لا يمكن ان يسمح لنفسه بان ينحدر الى هذا الدرك من الانحطاط الاخلاقي، ويبرر لنفسه قتل العراقيين ابناء جلدته مهما كانت التبريرات التي يتذرع بها.. لذلك اكرر ان انعدام الثقافة بالنسبة للفرد العراقي هي التي ادت الى تورط الكثير من الشباب بهذا المنزلق

الطائفي البغيض لان قتل الانسان لا تقره كل الشرائع السماوية والارضية الا بالحق لذلك انا ادعو الى تغيير المناهج الدراسية في كافة المراحل وجعلها تدين هذه الاعمال.. اعمال العنف والخطف، وان هذه الاعمال ليست جهاداً بل هي اساءة للدين.
ان قتل العراقيين على الهوية ولاسباب طائفية امر رهيب وخطر، واذا لم يتوقف ويوقفه ذوو الشأن في الوقت المناسب سوف يؤدي الى حريق هائل يأتي على الاخضر واليابس ونقرأ السلام على وطن كان اسمه العراق.

ولننتبه الى الاصابع الاجنبية التي تعمل على تأجيج هذه الفتن المقيتة وتدفع من اجلها ملايين الدولارات.

العامل الثقافي

وفي ذات الاتجاه عبر الكاتب والقاص عبد الرزاق السويراوي حيث قال: لا شك بان عامل الثقافة هو العصب الذي يمتد تأثيره في مجمل النشاطات داخل أي مجتمع من المجتمعات بما في ذلك بالتأكيد عامل الامن الاجتماعي، فغياب العامل الثقافي وتجاهله من شأنه ان يتيح لعوامل الاستبداد الفكري والثقافي المتخلف ان يكون هو السائد على الساحة والذي ستكون محصلته غياب الامن الاجتماعي؛ اما عن العلاقة بين غياب الثقافة وانتشار العنف في المجتمع العراقي.. فان هناك الكثير من المفكرين والباحثين يعزون بعض اسباب انتشار مظاهر العنف والارهاب الى غياب دور العامل الثقافي، وخاصة الثقافة الرصينة المبنية على الانفتاح وتقبل الآخر وعدم اقصائه بالشكل الذي يولد حالة من ردة فعل تكون اولى نتائجها اللجوء الى ممارسة العنف تجاه الآخر، في حين ان انتشار الوعي الثقافي داخل المجتمع من شأنه بلورة الافكار البناءة التي تشكل قواسم مشتركة تستقطب معظم الشرائح الاجتماعية في المجتمع العراقي وبما يؤدي الى الوصول الى قناعات مبنية على نبذ العنف مهما كانت اشكاله.

التفاعل الصحيح

وشارك القاص عبد الكريم حسن مراد في الاستطلاع معبراً عن وجهة نظره بالقول: من الركائز الاساسية لبناء المجتمعات هو حضور الثقافة فيها.. وذلك من خلال نشر الوعي والارشادات ودور المثقف في المجتمع دور فاعل وذلك من خلال ايصال المعلومة الجيدة التي من خلالها يستطيع ان يقلل من المخاطر التي يقع بعض الذين يعيشون ضمن جغرافية تواجده، فالامن لا يطبق بشكل صحيح ما لم تشارك كل الدوائر الثقافية وخاصة الدولة في عقد الندوات والجلسات لشرائح من المجتمع، وكذلك الفضائيات التي تقع على عاتقها المسؤولية الاولى.. وذلك باظهار البرامج الثقافية التي يستطيعون من خلالها نشر بذرة المحبة والتسامح في كل بقاع الارض، فقراءة سريعة للمشهد الثقافي بشكل عام نجد ان هناك خطابات تحرض على العنف من خلال العقائد المذهبية والعرقية ولبعض الصحف التي تصدر دور اساسي في تصدير العنف الى الناس.. يتأتي ذلك نتيجة لغياب المؤسسات الثقافية التي قع تتغاضى على ما ترى.. دون ان تساهم في قمع تلك الخطابات وزرع المحبة بينهما فثقافة العنف ثقافة تدميرية مجهضة لكل ما هو خير ومسالم.. ثمة سؤال: لم لا تتوحد كل تلك الخطابات تحت خطاب واحد هو خطاب المحبة والسلام بين كل اطياف الشعب؟!

ذاكرة امرأة عراقية

تفتح صفحة النصف الآخر، نافذة لذاكرة المرأة العراقية المناضلة كي تكتب تاريخ وقفتها المشهودة والنادرة في تاريخ النضال السياسي للشعب العراقي بكل تياراته السياسية والفكرية التي قارعت حكم الطاغية وقدمت المرأة العراقية على مذبح حريتها ثمناً باهظاً شهيدة وسجينة ومنفية، نساء من طراز خاص تحدين إرهاب الدولة وصرخن عالياً بـ(يعيش العراق) وهن متوجهات إلى ساحة الاعدام أو حبل المشنقة، وتحملن كل عسف وألم زنزانات النظام المقبور. امرأة عراقية أخفت زوجها وأبنها واخاها وحبيبها بل جارها، عن أعين فئران الزيتوني البؤساء هذه المرأة مطلوب منها ان تكتب هذا التاريخ الحقيقي للمرأة العراقية لا تاريخ اتحاد النساء وحفلات نادي الصيد! النصف الآخر تفتح هذه النافذة.

حكاية الأم التي فقدت سبعة من أبنائها في دهاليز الأمن ولم تتسلم غير ثلاثة جثامين

بابل / محمد هادي

بدأت القصة باعتقال الابن (مالك) عام ١٩٨١ ولم تنته

برحيل ألام

فقدت ام مالك سبعة من أبنائها وظلت تعاني بعدهم الأمرين، عسر الحال والمضايقة المستمرة فرجال الامن في النظام المقبور مارسوا معها وزوجها وولدها الوحيد المتبقي اقسى صنوف التنكيل والتهديد ظلت اسيرة الحزن الذي لم يبقِ منها سوى شبح امرأة فقدت اغلى ما تملك وبقيت تنتظر رصاصة الرحمة في ان يذكرها الله كي تلتحق بابنائها وزوجها الذي مات لوعة وحسرة.
بدأت هذه القصة في العام ١٩٨١ انه التاريخ الذي شهد حملة مسعورة من قبل ازلام النظام المقبور على كل من يعتقد به ضداً ومن هؤلاء كان الشهيد (مالك عاجل) الذي تخرج في معهد المعلمين وعين في احدى المدارس، غير ان وشايات عديمي الضمير اطاحت بمالك في زنازين الامن وسط ذهول ورعب العائلة والمنطقة باكملها ولم تنفع المحاولات والمراجعات الكثيرة لدائرة الامن كان الجواب واحداً في كل المرات مصحوباً بالتهديد والشتم ان ابنكم ليس مسجوناً لدينا. كان الشهيد مالك من الشباب الذين يمتلكون روحاً وثابة وحساً ادبياً عالياً محباً للشعر والرواية وهو يحظى باحترام وحب جميع زملائه.
بقي مالك في دهاليز الامن العامة سنة تقريباً بعدها تم استدعاء والده ليتسلم جثة ابنه مع التأكيد بعدم اقامة مراسيم العزاء لانه كما وصفوه (خائن للوطن) وعاد الاب المكلوم بولده الذي كانت آثار التعذيب واضحة على جسده لقد ترك الشهيد مالك زوجة وخمسة اطفال ومعهم ذكريات عن ابيهم الذي ضحى باغلى ما يملك من اجل الوطن.
وما ان تم دفن مالك حتى تحرك رجال الامن على اخيه عبد الله الذي كان عمره ٣١ سنة اصغر منه بسنتين وكان يعمل مدرساً في اعدادية صناعة الحلة تم جره الى غياهب السجون والجرح الاول لم يندمل بعد لقد عانى الشهيد عبد الله ما عانى وبالرغم من تمتعه بصفات الجلد والايمان وشرعية الطريق الذي سلكه وان الموت افضل الف مرة مما كانت تمارسه السلطة الباغية ضد الناس لكن حزن الام كان كبيراً فالجلاد لم يكن يرحم حيث كانت نهايته في مديرية الامن العامة ولم تسلم جثته فكان الشهيد الثاني من هذه العائلة الذي ترك خلفه زوجة وطفلين.

ذئاب الامن

كان الذئب متعطشاً للمزيد من دماء هذه العائلة فكان حسين عاجل ضحية ثالثة كان رحمه الله من الشباب الذين تخرجوا في المعهد الطبي ببغداد حاصلاً على شهادة الدبلوم وواصل عمله في مستشفى الثورة ببغداد ثم في مستشفى الرشيد العسكري الا انه اعتقل بتهمة الدعوة الى فكر الشهيد محمد باقر الصدر وظل في السجن اكثر من سنة عانى فيها شتى صنوف التعذيب قبل ان تصدر محكمة الثورة سيئة الصيت حكمها بالاعدام ولم تسلم جثته رغم كثرة المراجعات وراح الابن الثالث لام مالك ولم تفرح حتى باتمام زواجه الذي اكمل استعداداته له وكان تاريخ استشهاده عام ١٩٨١.

الرابع والخامس

كان حسن في الثلاثين من عمره يتمتع بحس الدعابة آماله كبيرة وطموحة اكبر في ان يسعد والديه ويتزوج كان يعمل في المهن الحرة ولكن الحرب جعلت الشباب حطباً لها وقبل ان يتم استدعاؤه كان قد القي القبض عليه بتهمة الانتماء لحزب معارض ونقل الى مديرية الامن العامة وهناك تمت تصفيته لتبقى ام مالك في احزانها الدائمة وينهار الاب المسكين تحت وطأة المرض فلم يعد يملك شيئاً وفوض امره الى الله وهو يرى صابراً اولاده يذهبون الواحد تلو الآخر ويصر على الاحتفاظ بمن تبقى غير من امله خاب مرة اخرى اذ جاءته الاخبار ان علياً اقتاده رجال الامن ولم يكن ليستنتج ما سيحصل له فقد عرف هؤلاء وفعلاً حدث الذي توقعه وتوشحت ام مالك بالحزن بفقدها الابن الخامس علي الذي لم يعرف مصيره حتى الآن غير ان البعض قال بانه اعدم مع من اعدم في مديرية الامن العامة كان ذلك في اواسط عام ١٩٨٢.

الام المذهولة

الابن السادس لخنساء العراق ام مالك محمد عاجل الذي التحق بالعسكرية كونه في العشرينيات من عمره وبما انه عسكري فان التقارير والوشايات كانت تصل من المنطقة عن اخوته الذين اعدموا ولان الجيش كان لحزب البعث فقد اعتبر محمد عاجل متهماً وسيق الى الشعبة الخامسة وبعد التحقيق معروف النتائج جاء القرار الذي لا بديل منه وهو الاعدام رمياً بالرصاص تفردت ام الشهداء الصامتة مع احزانها فقد جفت دموعها ولم يعد الناس يرونها الا شاردة الذهن مذهولة لا تدري ما تفعل.

آخر الشهداء

كل شيء يخطر ببال ام الشهداء وما عاد هنالك امر غير قابل للحدوث وهي تنظر الى ولديها المتبقيين احمد الذي كان قد اختط شعر شاربه تواً حيث بلغ الثامنة عشرة اما عباس فكان طفلاً وحاولت ان تثني احمد من خلال نظرة عينيها الحزينتين مذكرة اياه بمصير اخوته الستة وكان يعدها مبتسماً بوجهه الطفولي الهادئ يذهب صباحاً الى العمل لانه رجل العائلة التي تضم جيشاً من النساء والاطفال وترك المدرسة وعينه على اقرانه الذين يلتقي بهم ولكن الوحوش كشرت عن انيابها وبيتت النية على القضاء على كل ما تبقى لام مالك وهل تبقى سوى احمد ولم يرحموا دموعها ولا انينها ولا حسرتها على الذين لم يعودوا لذلك كان القرار (رأس احمد) وبالفعل وفي احد ايام حزيران لم يعد الى البيت فضربت الام اخماساً بأسداس وحاولت ان تكذب حدسها الا ان ذلك مجرد وهم وهي ادرى لانها تحسس أبنائها كما تتحسس اضلاعها عندما يخفي عنها الناس الخبر فقلبها يعلم وهو الذي ينبؤها ان احمد التحق باخوته وانطوت صفحة جديدة بسقوط ابنها السابع حيث لم يتبق لها سوى الصغير عباس الذي ترك المدرسة مبكراً وفي عينيه تساؤل ما زال يراوده من السبب في كل ذلك؟

رحيل ام الشهداء

بعد هذه الرحلة المضنية التي تشبه الاساطير ودعت ام مالك الدنيا لتلقى بالجليل الاعلى شاكية له ظلم الظالمين ماتت وقبل ذلك كانت ميتة اصلاً فالام التي تفقد ابناءها بهذه الطريقة الوحشية التي لا تمت الى الانسانية بشيء لا يمكن ان تكون لها حياة سوية تحياها.
هذه الحكاية هي احدى قصص الزمن الصعب والذين عاشوها وشاهدوا وقائعها ما زال البعض منهم على قيد الحياة يتذكر تفاصيلها التي لا يمكن ان يطويها النسيان بسهولة.
الوحيد الذي نجا من هذه المذبحة هو عباس الذي تساءل عن دماء اخوته الذين لم يذكرهم احد ولم يتفقد ابناءهم اما هو فقد عجز عن الحصول على وظيفة مدنية فقتطوع ضمن صفوف الشرطة العراقية...